۱۶۶۳۷

مجله	حضارة الاسلام
تاریخ نشر	ذوالحجة ۱۳۹۸
شماره	دهم سال نوزدهم
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	اسعد بیوضی
تعداد صفحات	٤٤ - ٥٧
موضوع سرفصلها	الاسراء وعلاقته بقضیة فلسطین فی الارض المبارکة
کیفیت	
ملاحظات	

الإسراء

وعلاقته بقضية فلسطين في الارض المباركة

بقلم الاستاذ اسعد بيوض

يمثل هذا المقال القيم وجهة نظر شاملة في تفسير الآيات الأولى من سورة الاسراء ، والمتعلقة بعلو بني اسرائيل وفسادهم في الارض مرتين ، وتعرف هذه السورة عند كثير من المفسرين باسم سورة بني اسرائيل .

يرى الاستاذ الكاتب ـ من خلال النظم القرآني والربط بين معاني الآيات ، ومن خلال وقائع التاريخ ـ ان العلو الثاني لبني اسرائيل هو ما نراه على ارض الاسراء اليوم ... ولهذا فهو يحدثنا حديث الواثق عن وعد الله تعالى بهزيمتهم وذهاب دولتهم ، وان ذلك كائن تحت شعار الجهاد الاسلامي وتطهير الاقصى والخليل لا تحت اي عنوان آخر من مبتكرات اليهود انفسهم في الشرق والغرب ، كما يدلنا على المعنى الحقيقي « للوطن » في ارض فلسطين معللا لماذا كان اهل الشام ـ سوط الله في ارضه ـ على ثغر من ثغور الاسلام كما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشيرا الى معنى الحرص على استمرار احتلال ارض فلسطين وبقاء اليهود فيها من قبل الشرق والغرب !

ولم يفت الاستاذ الكاتب ان يشير الى الخلفاء الذين حموا فلسطين ، وان فاته ان يقف طويلا ليقارن بينهم وبين من لا يزال يتاجر بها في دنيا العروبة والاسلام ، او من آثر بيعها في نهاية المطاف !

ان بشارة القرآن والحديث آتية ـ بشعار القرآن والحديث ـ لا ريب فيها ، وان غدا لناظره قريب .

١٠ / ١٩ ذوالحجة ٩٨ « التحرير »

اشتد الصراع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الكفار من قريش واخذ الصراع بين الحق والباطل يتصاعد بين الدين الجديد وما يمثله من خير للانسان وما يعطيه من حياة كريمة يعبد فيها الانسان ربه الذي خلقه ، ويسجد لبارئه الذي اوجده ، فلا يسجد لبشر ، ولا ينحني امام حجر او شجر ، ولا يعبد ملكا ولا مظهرا من مظاهر الكون ، وانما يستمد العزة لنفسه من عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد .

اشتد الصراع بينه وبين الشرك وما يمثله من انحطاط في الفكر الانساني والسلوك البشري الذي يظهر في السجود لحاكم او رجل دين او حجر او شجر او فلك ، ذلك الانحطاط الذي ينتج عنه ان الغرائز في الانسان تتحكم في مسيرته لا مقياس عنده يقيس به الامور ولا حلال ولا حرام ، وانما كل امر مباح من قتل نفس او ظلم انسان او اكل مال حرام ، او استعباد نفس واذلال للخلق فلا عجب ان ظهرت الطبقية العرقية الممثلة في السادة والعبيد والاشراف والسوقة ، والطبقية الاقتصادية الممثلة في تجارة الربا واكل اموال الناس بالباطل واستغلال حاجة الآخرين للاثراء غير المشروع ، والطبقية الدينية بحيث يصبح الدين وفهمه احتكارا على طبقة معينة وناس مخصوصين يستغلون جهل الناس ويطلبون منهم ان يعبدوهم ويطلبون منهم تقديم النذور والقرابين لهم ولما يمثلون .

واخذ الكفر يقاتل عن مواقعه بشراسة حتى اضطر المسلمون الى الهجرة مرتين فرارا بدينهم وحرصا على عقيدتهم ، وحتى يأذن الله بالفرج .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يقارع قومه الحجة ، يبين باطل ماهم فيه وما عليه حياتهم ، ولكنهم اصابهم الكبر ولحق بهم العناد وكان الله قد هيأ له زوجة صالحة تعتني بأمره وتدعمه بمالها ، وتخفف عنه قسوة عناد قومه ، وجهل عشيرته ، وهيأ له كذلك عمه ابا طالب يحميه ، ويمنعهم من قتله واغتياله ، وان لم يمنع عنه ما دون القتل والاغتيال من الاذى وهم مع هذا يحسبون حساب عمه حين ايذائه حتى ان بعضهم يطرح عليه سلى جزور وهو يصلي .

ثم ان خديجة رضي الله عنها ، وابا طالب هلكا في عام واحد قبل هجرته بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ، وذلك ان قريشا وصلوا من اذاه بعد موت ابي طالب الى ما لم يكونوا يصلون اليه في حياته منه ، حتى نثروا التراب على راسه الشريف صلى الله عليه وسلم فدخل الرسول بيته والتراب على راسه ، فقامت اليه احدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله يقول لها « **يا بنية لا تبكي فان الله مانع اباك** ».

ولما استعصت قريش ، وصمت آذانها ، واغلقت قلوبها وعقولها ، اتجه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، فلما وصلها عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم ثلاثة اخوة عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ، فردوه ردا غير جميل فقال احدهم يمرط ثياب الكعبة ان كان الله قد ارسلك ، وقال الآخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك ، وقال الثالث والله لا اكلمت كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول انت اعظم خطرا من ان ارد عليك بالكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي ان اكلمك .

فقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم فيما ذكره شيخ المؤرخين المسلمين الطبري وانا اروي عنه: « **إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني** » وكره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجاؤه الى بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فلما اطمأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اخذ يناجي ربه مناجاة الصابر المحتسب يطلب منه المدد والعون حيث قومه لا يستجيبون للنور ولا يلتقون على الخير ، والطائف كانت اسوا من مكة ، واقسى من قريش ، فاخذ يقول كما يروي الطبري « **اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين، انت رب المستضعفين ، وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك ، او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك** » .

* * *

في هذا الجو القاتم الشرس كان الله ينبيه رؤوفا رحيما ، وكانت حادثة الاسراء من مكة الى القدس ، وكان المعراج من ارض المسجد الاقصى الى السموات العلا الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، وكان في الاسراء اكثر من معنى ، واثره لا يزال على مر الايام وكر السنين .

يكرم الله نبيه على صبره ويجازيه الجزاء الأوفى على تحمله فيستدعيه اليه ويقربه منه ، ويرفعه الى درجة لم يصلها احد من خلقه حتى ولا الملائكة المقربون . ويقدم له ارض الشام ، ارض فلسطين ، ارض القدس ، المسجد الاقصى هدية ايمان وجائزة رضوان فيفتح النبي ارض الشام ، ومنها ارض فلسطين فتحا ماديا بجسده الشريف ، ويعلن الله للدنيا في ذلك الحين وللدنيا بعد هذا الحين وللدنيا في كل حين ان المسجد الاقصى اصبح مسجدا للمسلمين، فيصلي فيه النبي الصلاة الاسلامية الاولى اماما للانبياء المرسلين حيث احياهم الله له ويصلي الصلاة الثانية بعده عمر وابو عبيدة ، وكبار الصحابة والجنود المؤمنون يوم أن دخل عمر القدس ، واستلمها من بطريركها صفرونيوس واعطاه العهدة العمرية التي تنص فيما نصت عليه الا يسكن إيليا (القدس) احد من اللصوص واليهود ، وذلك ان كبار اصحاب رسول الله كانوا على علم منه لا يعلمه بقية الناس ، وهذا النص في الوثيقة يدل على مبلغ فهم عمر لخطر اليهود على هذه الارض .

ويذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هذا الخبر العظيم فيقول في اول سورة الاسراء :

« **سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » .

وسورة الاسراء تتحدث عن المسجد الأقصى واسراء النبي اليه وتقرر ان هذا المسجد الذي بني بعد البيت الحرام باربعين سنة كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي ذر قال : (سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن اول مسجد وضع في الأرض قال « **المسجد الحرام** » **قلت ثم اي** قال « **المسجد الاقصى** » قلت كم بينهما قال : « **اربعون سنة ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركتك الصلاة فصل** » فعاد للمسجد بالاسراء قدسيته وطهره حيث كان المسجد خرابا يبابا لا يصلي فيه احد الى ان جاء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتقررت مسجديته في القرآن ، واستلمه عمر فكان ينظفه هو واصحابه من الكناسة وطهروه واصبح من يومها منارة علم ودار ايمان ومحجة زوار ومحراب صلاة.

اذن سورة الاسراء تتحدث عن علاقة المسلمين بالمسجد وان المسجد للمسلمين حيث اسرى بنبيهم اليه ، وتقرر بركة ارض الشام او ارض فلسطين، وتبدأ بعد ذلك في الحديث عن الفساد والعلو لليهود والتدمير الذي سيلحق بهم، وانهم سينازعون المسلمين ارض الاسراء والمسجد الاقصى .

وهنا لا بد ان نقرر أن علماء التفسير اختلفوا اختلافا كبيرا في (العلوين والافسادين) اللذين أشارت اليهما الآية وهي قوله تعالى : (**وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا**)(١) فقال قوم : هم اهل بابل، وكان عليهم بختنصر قاله ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وقال قتادة ارسل عليهم جالوت فقتلهم فهو وقومه اولو بأس شديد، وقال مجاهد : جاءهم جند من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بختنصر ، وقال محمد بن اسحق ان المهزوم سنحاريب ملك بابل وقيل انهم العمالقة الى غير ذلك من الاقوال المتضاربة ، ونحن حين ننظر الى الآيات نظرة موضوعية نجد الاشياء الآتية :

اولا الآيات مكية وتتحدث عن علوين وإفسادين لليهود فهل معنى هذا ان العلوين قبل نزول الآية أم انهما آتيان .

مما لا شك فيه ان اليهود دمروا اكثر من مرة قبل الاسلام ، وقبل نزول الآيات فقد سباهم البابليون ، ودمرهم الرومان وذلك انه منذ ان غضب الله عليهم نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على الله وانبيائه غضب الله عليهم وجعلهم يتصرفون تصرفا يلجيء البشرية الى اذلالهم وضربهم . يقول الله تعالى : (**وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**)(٢) ثم تقرر آية اخرى في سورة اخرى ان العذاب سيستمر في اليهود والتدمير لهم الى يوم القيامة : (**واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**)(٣)

، اذن لا غرابة أن يكون افساد اليهود وعلوهم ثم تدميرهم اكثر من مرة قبل الاسلام ، ولا غرابة ان يكون كذلك علوا وفسادا بعد الاسلام ثم تدميرهم .

(١) الايتان الكريمتان من سورة الاسراء : رقمهما ٤ ، ٥

(٢) الاية الكريمة من سورة البقرة : ٦١ .

(٣) الاية الكريمة من سورة الاعراف : ١٦٧ .

وليس هناك ما يمنع أن يكون الفساد والعلو ثم التدمير لمرتين بعد نزول الآيات والواقع ان المتعمق في الآيات يجد المرتين في علو اليهود وافسادهم ثم تدميرهم هما بعد نزول آيات الاسراء .

وذلك ان الله يقول : (**وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولهما**)(٤) واذا ظرف لما يستقبل من الزمان ولا علاقة لما بعدها بما قبلها فوجود كلمة « اذا » في الآية تدل على ان الفساد والعلو ثم التدمير الأول آت وانه لم يمر ، كما ان استعمال « اذا » للمرة الثانية يدل على انها آتية لم تمر كذلك .

وقوله تعالى : (**بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار**)(٥) .

ان الذين سيتولون تدمير اليهود هم من المؤمنين اذ ان الله سبحانه وتعالى حين يضيف كلمة العباد لذاته تكون في موضع التشريف ، ويخص بها المؤمنين يقول الله تعالى : (**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**)(٦) ويقول : (**يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم**)(٧) ويقول : (**سبحان الذي اسرى بعبده**)(٨) .

واعظم منزلة للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه عبد الله ورسوله .
وفي التحيات : (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**) .

وهذا التشريف والتكريم الايماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان لانهم جميعا من الوثنيين ، اذن ينطبق هذا الوصف على رسول الله واصحابه الذين جاءوا الى المدينة ولليهود فيها نفوذ سياسي واقتصادي وكان من اول اعماله في المدينة ابرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود وان اليهود جماعة مستقلة ، وان المسلمين جماعة مستقلة ، فلما غدر اليهود ونقضوا العهد كعادتهم ودأبهم سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيها وازالوهم عن المدينة وخيبر وتيماء ، وزال سلطانهم وتدمر علوهم فكان

(٤) الايتان الكريمتان من سورة الاسراء : ٤ ، ٥

(٥) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ٥ .

(٦) الاية الكريمة من سورة الفرقان : ٦٣ .

(٧) الاية الكريمة من سورة الزمر : ٥٣

(٨) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ١ .

ذلك من خلال معارك بني قريظة وبني النضير ، ومعارك خيبر الشهيرة ، وتأتي سورة الحشر لتؤكد هذا المعنى في قوله تعالى في وصف معارك المسلمين مع اليهود في المدينة (**هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار**)(٩)

اذن هو اخرجهم لاول الحشر ، فخرج قسم منهم الى اذرعات من ارض الشام حتى تبدا المرة الثانية من علوهم وفسادهم . ويقول الله (**وكان وعدا مفعولا**) يعني في عهد النبي والوحي ينزل ، واتمه اصحابه من بعده . وتبدا الآيات بعد ذلك تتحدث عن المرة الثانية من العلو والفساد ، فتخبر الآيات ان الله سيجعل لليهود الكرة عليهم ، على من ؟ على الذين جاسوا خلال الديار اول مرة ، والكرة : الدولة والسلطة . وحين اراد الله لليهود ان يكروا استعمل كلمة « ثم » و « ثم » كما هو معروف معناها العطف مع التراخي او المهلة ، فهل كر اليهود في التاريخ على البابليين وكانت لهم دولة وسلطة عليهم ؟ لم يحدث ذلك في التاريخ ، ولن يحدث الآن ولا في المستقبل حيث ان البابليين قد انصرفوا من الدنيا كأمة ، وليس لهم مكان يعرفون فيه أو دولة يعيشون فيها وحاشا لله الا يصدق القرآن أو يكون خبره غير محقق ، اذن لا بد أن تكون الكرة على ابناء الذين جاسوا خلال الديار وهم المسلمون ، فقد كر اليهود على ديار الشام وفلسطين منها ، وهذا هو الذي قد حدث ونعيشه الآن ، ويعاني منه المسلمون كل المسلمين ، وانظروا معي الى بقية الآيات تمضي فتصف الواقع الذي نعيشه وتعيشه دولة اليهود اذ بعد ان جعل الله الكرة لليهود علينا يقول الله لليهود (**وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا**)(١٠) وهنا نسأل مرة اخرى ، هل أمد الله اليهود في التاريخ بأموال وبنين غير هذه المرة ؟ لم نعرف ان ذلك قد حدث ، واليهود منذ ان غضب الله عليهم وهم في بلاء متصل وعذاب مستمر فقبل الاسلام كان عذاب البابليين لهم والرومان ، وبعد الاسلام اخرجهم المسلمون من الجزيرة ثم بدأت اوروبا تعذيبهم في اسبانيا حتى جاء المسلمون فانقذوهم من الاسبان واستمر العذاب . واليهودي في كل الارض يعتبر انسانا شريرا

(٩) الاية الكريمة من سورة الحشر : ٢ .
(١٠) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ٦ .
(١١) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ٧ .
(١٢) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ٨ .

متآمرا يستحق التعذيب والقتل ، وآخر من عذبهم في حياتنا المعاصرة هو ادولف هتلر ومعه النازيون .

وحتى نرى مبلغ صدق الآية ، ونرى إعجازها بأعيننا نجد دولة اليهود اليوم تعيش على البنين الذين يأتونها من أطراف الأرض ليمدوها بالجند ، وفي هذه الفترة من روسيا بالذات ، وترى الاموال من امريكا ودول الغرب تأتيها بمساعدات مذهلة حتى تستمر في عدوانها وطغيانها وجبروتها ، ثم يقول الله (**وجعلناكم أكثر نفيرا**) ولذلك فان اكبر قوة في الارض او اكبر دول الارض تساند دولة اليهود في حال نفرتها وحربها !!

* * *

اذن هذه هي المرة الثانية من العلو ، فما بال الفساد ؟ وحتى يتحقق الفساد فنرى اليهود في دولتهم يرتكبون أفظع الجرائم بحيث فاقوا كل انواع العذاب التي عانوا منها في زعمهم او عاناه غيرهم ، ولذلك يحذرهم الله فيقول لهم : (**إن احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها**) (١١) وهم قد أساءوا فقتلوا النفس الانسانية وعذبوها ويتموا الاطفا لوسجنوا النساء وهدموا البيوت واغتصبوا الارض واقاموا المستعمرات ، وحرقوا الاقصى في ٢١-٨-١٩٦٩ . والاقصى عند الله عظيم ، ودنسوا مسجد الخليل عليه السلام ، والخليل عند الله هو الخليل ، وارتكبوا جريمة الجرائم في مسجد الخليل يوم ان عمدوا الى كتاب الله القرآن العظيم فمزقوه وداسوه !!

وهنا تأتي عقوبة الله على ما اقترفوا من آثام والجرائم بتفسير من الآيات ، ان دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها فيقول الله : (**فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا**)(١٢) وهنا حين يخبر الله عن زوال دولتهم استعمل كلمة الفاء للعطف ولم يستعمل « ثم » والفاء للعطف مع التعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه وما يناسبه ، وهو يدل على السرعة المناسبة في حصول المقصود (**فاذا جاء وعد الآخرة**) اي لذهاب علوهم الثاني تصبح وجوه بني اسرائيل سيئة **ويبشرنا ربنا جلت قدرته أننا سندخل المسجد الاقصى كما دخلناه اول مرة** ، وفي هذه الآية اشارة لطيفة الى دخولنا المسجد مرتين . والمرتان حدثتا بعد نزول الآية . المرة الاولى الفتح العمري للمسجد حين دخله باسم الله والاسلام ، والمرة الثانية التي نحن على ابوابها حيث سيدخل المسلمون المسجد فاتحين للمرة الثانية ، ثم يقرر الله اننا سنتبر اي ندمر ، ونهلك علو اليهود المادي والمعنوي ، ومما

(١٣) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ٩ .

تجدر الاشارة اليه هنا ان فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق التي تزيد عن اربعة او خمسة طوابق الا في ظل اغتصاب اليهود لها . ولذلك فان هذه العمارات الشاهقة التي يقيمونها على الارض المباركة سيلحقها التدمير والخراب ثم تمضي الآيات فتحذر اليهود من محاولة العودة للفساد والتعالي فيقول الله لهم (**وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**)(١٣) ، وتأتينا البشرى من الله بعد أن يفهمنا ربنا أن القرآن يهدي الى الطريق السوي والحياة الصحيحة تأتينا البشرى بالنصر فيقول : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا**)(١٤) . وفي آخر السورة سورة الاسراء آية اخرى تتعلق بهذا الامر وهي قوله تعالى في آخر السورة (**وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً**) جماعات ملتفة وفي بقية الآية انذار لليهود وبشرى لنا فيقول الله : (**وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشر ونذيرا**)(١٦) بشرى لنا وانذار لهم فاذا ربطنا هذه الآيات وتفسيرها بالحديث الذي يدلنا على صدق النبوة ، ومعجزة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين اخبرنا عن قتال اليهود فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم وهو قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود**) .

* * *

ايقنا بعد ذلك لماذا لم تنجح المحاولات لتثبيت دولة اليهود وذلك انه منذ سنة ١٩٤٨ ، وكل محاولة للصلح وتثبيت دولة اليهود يفشلها اليهود انفسهم ، وذلك لان الله يلهمهم الخطأ فيرفضون كل الحلول لان اليهود لا يعالجون اي امر الا بالحقد والتآمر والخديعة ، ويقرر الله الا عقل عندهم فيقول : (**لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون**)(١٧) ، وذلك ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد اخبر في حديث قتال اليهود أن الحجر والشجر سينطق ويقول : « يا مسلم يا عبد الله خلفي يهودي فتعال فاقتله » (**ويقولون متى**

(١٤) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ١٠٤ .
(١٥) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ١٠٥ .
(١٦) الاية الكريمة من سورة الحشر : ١٤ .

هو قل عسى ان يكون قريبا)(١٨) .

وبعد .. فان الآية الاولى في سورة الاسراء نصت على بركة الارض التي تحيط بالمسجد الاقصى وكذلك آيات أخرى نصت على هذه البركة مثل قوله تعالى في حق الخليل ابراهيم : (**ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**)(١٩) وقوله (**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وايامآ آمنين**)(٢٠) ، والبركة الزيادة في كل شيء ، وليست بركة هذه الارض مادية وانما بركتها بالاضافة الى الاشياء المادية بركات معنوية تتمثل في أنها مهد الانبياء ، ولذلك فكر اصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في دفنه في بيت المقدس عند وفاته باعتبارها عش الانبياء وكانت لم تفتح بعد ، وهي مهبط الوحي وهي مسرى النبي ومعراجه منها ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهي القبلة الاولى ، فقد صلى المسلمون الى مسجدها ستة عشر شهرا ، ومسجدها تشد اليه الرحال كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى** » .

ومن بركة هذه الارض استقراء انه حينما يبتعد المسلمون عن محور عزهم ومركز قوتهم وهو الاسلام يضعفون ويتمزقون وتكثر دولهم ودويلاتهم ، فيسهل على العدو أن يتسرب من خلالهم فيأخذ الارض المباركة ويأخذ المسجدالاقصى، وعندها يتحرك المسلمون حركة حياة من جديد ، وينفضون غبار الهزيمة فيعملون لاستخلاص هذه الارض فمن طريق استخلاصها يتم توحيد المسلمين من جديد . الا ترون انه بسبب حريق المسجد الاقصى كان مؤتمر القمة الاسلامي الاول في المغرب الذي انبثق عنه مؤتمر وزراء الخارجية المسلمين ، وهذا من بركة هذه الارض التي باركها الله . ولذلك لن يصل احد مع اليهود راعوانهم الى حل مستقر حتى يأتي أمر الله ويتوحد المسلمون ، ويعود الاسلام محركا للحياة في ديار الاسلام وفي العالم كله .

وقد ظهرت بركتها في الحروب الصليبية اذ بعد ان اخذها الصليبيون وظنوا أن الامر قد استقر لهم كانت حروبهم سببا في توحيد المسلمين من جديد،

(١٧) الاية الكريمة من سورة الاسراء : ٥١ .
(١٨) الاية الكريمة من سورة الانبياء : ٧١ .
(١٩) الاية الكريمة من سورة سبا : ١٨٠ .

فكان نور الدين زنكي الذي وحد الاجزاء المبعثرة واخذ الراية منه صلاح الدين، فكانت حطين النصر المبين ، وكانت معركة القدس فيما بعد ، ودخلها رحمه الله فاعاد الامن والامان اليها ، وعاد مسجدها الى قدسيته وطهره .

وقدر اهل الشام وفلسطين منها أنهم مرابطون الى يوم القيامة حيث الكفار لا يتركون الارض المباركة واهلها وهم يريدون مسجدها ليقيموا عليه الهيكل .

روى الطبراني عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ **ان اهل الشام وازواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماءهم الى مُنتهى الجزيرة مرابطون فمن نزل مدنية وقرية من المدائن والقرى فهو في رباط او ثغر من الثغور فهو في جهاد »**

وقدر اهل الشام كذلك ان ينتقم الله بهم من أعدائه فعن خريم بن فاتك « اهل الشام سوط الله في ارضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم ان يظهروا على مؤمنيهم وأن يموتوا الا هما وغما وغيظا وحزنا » رواه الطبراني مرفوعا وأحمد موقوفا ورجاله ثقات ، وعن ابي الدرداء عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه سمعه يقول « **الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ »** رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وقد روى ابو بكر بن شيبة عن ابي الزاهرية قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور »** .

وعلى هذا فالارض المباركة بركتها بالاضافة الى الاشياء المادية التي ذكرها المفسرون من الثمار والاشجار والانهار والارض المعطاء والسهل الخصيب والجبال العالية والارض المنخفضة التي تجعلك تنتقل في ساعة من زمن او اقل من مستوى سطح البحر الى العلو الشاهق الى الغور المنخفض فهناك البركة المعنوية ، والبركة المادية تتصاغر امام البركة المعنوية والتي باركها الله فجعلها القبلة الاولى يصلي اليها المسلمون وأسرى بنبيه اليها وعُرج به من مسجدها الى السموات العلى وجعل مسجدها الاقصى تشد اليه الرحال وهي عش الانبياء وهذا مما جعل عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يأتي بنفسه لتسلم القدس .

ولذلك فحينما يتحدث اليهود واعوانهم عن الوطن البديل للفلسطينيين يظنون ان اي ارض يمكن ان تستبدل بها الارض المباركة ويظنون ان الامر امر اسكان لاجئين او استقرار مشردين ، وما علموا او هم يتجاهلون ان هذه الارض لا تدانيها ارض اخرى ولا يمكن أن يقوم مقامها وظن بديل في اي بقعة من بقاع الكرة الارضية ما عدا ارض الحرمين الشريفين ، فشرفها مفروغ اذ أن هذه

الارض مرتبطة بعقيدة المسلمين سجلت في كتاب الله بوصفها القبلة الاولى ، وبوصفها مسرى النبي ، وبوصفها معراج الرسول ، وبوصفها الارض المباركة . ولذلك فهي لا تخص الفلسطينيين وحدهم ، ولا تخص العرب وحدهم ، بل تخص المسلمين اينما كانوا وحيثما وجدوا ، وما دام كتاب الله القرآن موجودا على الأرض يتلى وفي الارض مؤمنون فليس هناك استقرار لدولة اليهود وهي في طريقها لان تصبح من مخلفات التاريخ كما اصبحت دولة الصليبيين من قبلها من مخلفات التاريخ تؤلف الكتب عن اسباب زوالها ، ويكتب الباحثون ابحاثهم ويعطي العلماء آراءهم في ذلك وكلهم أو جلهم ينسى او يتناسى الحقيقة الازلية ، وهي استحالة ان يملك هذه الارض غير المسلمين ملكا مستقرا وان تبقى في حوزة اعدائهم لإن هذه ارادة الله بينها ليلة الإسراء .

* * *

والواقع ان العالم كله لا يفقه القضية الفلسطينية او القضية اليهودية وانما كل فئة تنظر الى القضية من زاوية معينة تتفق مع مصلحتها ، وهذه النظرة بالنسبة لصالحها صحيحة ؛ فالغرب ينظر إلى القضية على إنها إمتداد للحروب الصليبية ، وأن اليهود اداة في يديه لتمزيق الوطن الاسلامي والسيطرة على بلاد المسلمين وتهديدهم حتى لا يفيقوا مرة اخرى فيتعرضوا لقيادة الدنيا وانقاذها مما تعانيه .

واهل البلاد الذين اخرجوا من ديارهم (الفلسطينون) ينظرون الى القضية من زاوية انهم شعب ظلم وشرد واضطهد ، فهم يريدون حياة الاستقرار في الارض التي ولدوا فيها او نبت آباؤهم فيها أو دفن اجدادهم في ترابها ، فهم يحنون بفطرتهم اليها ولا يرون في الدنيا ارضا تكون بديلا لها ، وهذا صحيح ولكن هذه النظرات المختلفة للقضية من زواياها المختلفة للقضية ليست هي القضية وانما القضية تتعلق باليهود او بغضب الله على اليهود المبثور عبر التاريخ بالعذاب الواقع بهم نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على الانسانية فهذه حلقة من حلقات الغضب والسخط عليهم من الله . ان الله اخبر في القرآن في آيات الاسراء كما اسلفت في

أول البحث وفي حديث البخاري ومسلم « انه قبل قيام الساعة ستقوم لليهود دولة يتولى المسلمون تصفيتها » حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله خلفي يهودي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود .

ولقد حاول العالم منذ ١٩٤٨ او القوى الكبرى في العالم او الغرب على وجه التخصيص ان يثبت اسرائيل دولة ، فوضع الحلول وحاك المؤامرات وخلق قيادات واوجد زعامات لتتعاون معه على تثبيت اسرائيل دولة ، ولكن المؤامرات تفشل والطبخات تحترق ، وذلك بفضل الله ، ثم بمعاونة اليهود انفسهم حيث يرفضون كل ما يعرض عليهم حتى يأتي يومهم الموعود وقدرهم المرصود فتزول دولتهم بآثامها وشرورها ، وان الغرب اليوم يحاول جاهدا انقاذ دولة اليهود من مصيرها المحتوم وقدرها المرسوم رغم انفها ، ولكن اليهود يتمردون على من اوجدهم ، ذلك بانهم قوم لا يعقلون ، وصدق الله اذ يقول في حقهم : **(لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون)** .(٢٠)

وان من بركة الارض المباركة ان المسلمين يتوحدون دائما عن طريق استخلاصها من ايدي اعدائهم وذلك ان الامة الاسلامية حينما تبتعد عن محور قوتها وهو الاسلام يلحقها الضعف والتشتت فتقام فيها دول ودويلات حتى تصل في صغرها الى مستوى الاحياء والحارات ، فيأتي العدو ليتسلل عبر هذا الضعف فيأخذ الارض المباركة وتسقط القدس ، ويسقط الاقصى في يديه ، عند ذلك تبدأ آلامه في التحرك حركة الحياة من جديد حتى اذا وقفت على قدميها كرت على عدوها لتخلص الارض المباركة منه فتتوحد من أجل ذلك او بسبب ذلك ، كان ذلك في الحروب الصليبية ، وكان ذلك في حروب التتر ، وهو كذلك الان . ولذلك بسبب حريق الاقصى في ٦٩/٨/٢١ انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، وخرجت من ذلك المؤتمر منظمة الدول الاسلامية الممثلة في الامانة العامة الاسلامية في جدة ، والتي بسببها يعقد وزراء خارجية الدول الاسلامية مؤتمرهم السنوي في احدى العواصم الاسلامية ، وسيستمر اللقاء والتقارب حتى يصل الى حد التمازج والتلاحم فيشترك المسلمون كل المسلمين في تحرير الارض المباركة التي تكون سبب وحدتهم .

وبمناسبة انعقاد مؤتمر السيرة النبوية في استنبول ، عاصمة المسلمين

(٢٠) الاية الكريمة من سورة الحشر : ١٤ .

لعدة قرون ومركز الخلافة الاسلامية لمئات السنين ، لا بد من الاشارة الى الدور الذي نهضت به الدولة العثمانية في حماية المقدسات الاسلامية وخصوصا في فلسطين ، ولا بد من الاشارة هنا الى الخليفة العثماني ، السلطان عبد الحميد — رحمه الله — حيث رفض ان يعطي اليهود امتيازات في الارض المباركة مما جعلهم يحنقون عليه ويشوهون سمعته ويعملون على عزله ، متعاونين مع قوى الشر المختلفة من صليبية وماسونية ، مما هيأ الظروف من بعده الى التآمر على دولة الخلافة ، ومن ثم ذهابها وقيام دولة اليهود في الارض المباركة ، ولكن هذه الدولة لا تدوم كما اسلفت ، وكل الدلائل تشير الى سرعة زوالها وذلك حتى تتحقق الايات والاحاديث في حقها « ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا » .

عبودية

اذا اصبح العبد وامسى وليس همه الا الله وحده ، تحمل الله سبحانه وتعالى حوائجه كلها ، وحمل عنه كل ما اهمه ، وفرغ قلبه لمحبته ولسانه ، وجوارحه لطاعته ، وان اصبح وامسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وانكادها ، ووكله الى نفسه ، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ، ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم واشغالهم ، فهو كالكير ينفخ بطنه ، ويعصر اضلاعه في في نفع غيره .

فكل من اعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته ، بلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته .

قال الله تعالى « ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

ردود و مناقشات

الإسراء

وعلاقته بقضية فلسطين في الارض المباركة

للدكتور حسن هويدي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد فقد قرات في مجلتنا الغراء (حضارة الاسلام) العدد العاشر ، مقالا للاستاذ (اسعد بيوض) عنوانه (الاسراء وعلاقته بأرض فلسطين) ، فلفت نظري معنيان اشار اليهما الكاتب ووجدت انهما يقتضيان لفت النظر :

١ ــ قال في (ص ٤٩) وذلك ان الله يقول : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد اولاهما) واذا ظرف لما يستقبل من الزمان ولا علاقة لما بعدها بما قبلها ، فوجود كلمة (اذا) في الآية تدل على ان الفساد والعلو ثم التدمير الاول آت وانه لم يمر ، كما انه استعمال ...) اهـ

واقول لعل الاستاذ الكاتب فهم من قوله تعالى : (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) ان (الكتاب) هو (القرآن) حتى خلص الى المعنى الذي ذكره ، والذي يذكره المفسرون ان المراد بالكتاب (اللوح المحفوظ) او (كتابهم الذي انزل اليهم) وهما القولان الجديران بالصواب والمتفقان مع صدر الآية الكريمة اذ ان معنى قوله تعالى (وقضينا الى بني اسرائيل) اي : اعلمناهم في كتابهم كقوله تعالى : (وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) او : قدرنا ذلك عليهم في اللوح المحفوظ . اما ان يكون المعنى : (قدرنا على بني اسرائيل في القرآن لتفسدن ..) فبعيد من عدة وجوه كما لا يخفى . واذا كان الامر اخبارا عما في اللوح المحفوظ او اخبارا عما انزله الله اليهم في التوراة ، لم يبق مسوغ للالتفات الى ظرفية (اذا) وانها لما يستقبل من الزمان ، حيث يكون المعنى (انا اخبرنا بني اسرائيل بافسادهم مرتين فاذا جاء وعد اولاهما ..)

ويكون ما بعد (اذا) نقلا للخطاب الالهي الذي خاطبهم به من قبل في قصة ماضية . ومثل هذا في اللغة كثير وشهير . وقد تشير نهاية الآية الكريمة الى كونه امرا في قوله تعالى (وكان وعدا مفعولا) لا كما استنتج الكاتب منها بغير دليل حينما قال : (يقول الله تعالى) : «و كان وعدامفعولا » يعني في عهد النبي والوحي ينزل !

٢ ــ وقال ايضا : (وقوله تعالى : بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار) ان الذين سيتولون تدمير اليهود هم من المؤمنين اذ ان الله سبحانه وتعالى حين يضيف كلمة عباد لذاته تكون في موضع التشريف ، ويخص بها المؤمنين، يقول الله تعالى: (وعبادالرحمن الذين يمشون على الارض هونا)، ويقول : (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم) ... وهذا التشريف والتكريم الايماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان ...) اهـ

واقول ان هذا المعنى الذي ذكره الاخ الكاتب والذي شاع عند بعض الناس، غير مطرد وان كلمة العباد حتى في حال اضافتها الى الباري سبحانه تستعمل في الوجهين عن الايمان والكفر مثل كلمة (العبيد) واليك الشواهد من كلام الله تعالى ، يقول عز وجل حكاية عن عيسى عليه السلام : (ان تعذبهم فانهم عبادك، وان تغفر الله لهم فانك انت العزيز الحكيم) المائدة (١١٨) ويقول تبارك وتعالى:

(وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا الاسراء)١٧) وهذا مطلق يشمل المؤمنين والكافرين .

ويقول عز من قائل :

(فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل . الفرقان (١٧)

ولو ان الكاتب الكريم دقق في احد الشواهد التي اوردها هو من قوله تعالى (قل يا عبادي الذين اسرفوا) لامكن ان يصل الى ما ذكرنا من الاستدراك، حيث ان الآية المذكورة وما بعدها نزلت في الكافرين على ارجح الاقوال وان ما فيها من الدعوة الى الانابة واتباع الرسل والانذار بسوء العاقبة ووصف من اعرض عنها بانه من الكافرين دليل على عدم اختصاصها بالمؤمنين، ولواشتملت عليهم بالجملة في الدعوة الى الله ، فالاستشهاد بها في هذا الموطن ليس دالا على التشريف والتكريم .

وبهذا لا يستقيم للكاتب المعنى الذي اشار اليه من (وقوع الافساد الاول والعلو لبني اسرائيل) في زمن النبي ﷺ خصوصا اذا لاحظنا ان اليهود في ذلك الوقت لم يبلغوا ذلك (العلو الكبير في الارض) المذكور في قول الله تعالى وانهم كانوا بجوار العرب من الاوس والخزرج والله اعلم .

هذا ونشكر للاستاذ الكاتب غيرته وحماسه وحبه للتحقيق وجزاه الله خيرا والحمد لله رب العالمين .